العرب يجعل الضد مثل الند ، ويقول هو يضادني ، أعلمهم اختلفوا في ذلك ... (و) زعم قوم أن بعض العرب يجعل الند مثل الند ، ويقول هو يضادني ، في ذلك المعني ، ولا اعرف انا ذلك . فأما المعروف في الضد في كلام العرب فخلاف الشيء ، كما يقال: الايمان ضد الكفر ، والعقل ضد الحمق .. » .

وكان في اكثر الاحيان يأتي بهذا النقد في الاضداد المتعلقة بالقرآن تحرجا منه وورعا . مثال ذلك قوله (11) : « كان ابو عبيدة يقول : خاف من الخوف ، ومن اليقين . وكان يقول : « فان خفتم الا تعدلوا » يريد ايقنتم . ولا علم لي بهذا لانه قرآن ، فانما تحكيه عن رب العالمين ، ولا تدري لعله ليس كما يظن » .

والدعامة الثانية عنده . تغليط القائل ، مثل قوله (12) : « قال ابو عبيدة : الخنذيذ من الخيل : الفحل والخصي . وغلط ، انما الخنذيذ الفائق من الخيل ، ومن كل شيء . ويقال خطيب خنذيذ ، وشاعر خنذيذ . وقال خفاف بن عبد شمس :

وبراذين كابيات واتنا
وخناذيذ خصية وفحولا

الخصية : الخصيان . فاراد منها خصيان ومنها فحول . وقال بشر بن ابي خازم في نعت فرس :

وخنذيذ ترى الفرمول منه
كطي الزق علقه التجار »

وعثرت على نقد واحد من ابي حاتم قام على عدم الثقة بمن روى الضد ، قال (13) : « قال ابو عبيدة: أسررت الشيء : اخفيته واظهرته ايضا . وكان يقول في هذه الآية : (واسروا الندامة لما راوا العذاب) : اظهروها . ولا اثق بقوله في هذا ، والله اعلم . وقد زعموا أن الفرزدق قال :

فلما راى الحجاج جرد سيفه
أسر الحروري الذي كان اضمرا

ولا اثق ايضا بقول الفرزدق في القرآن . ولا ادري لعله قال : « الذي كان اظهرا » اي كتم ما كان عليه . والفرزدق كثير التخليط في شعره ، وليس في قول نظيريه جرير والاخطل شيء من ذلك. فلا اثق به في القرآن » .

كذلك عند ابي حاتم نقد واحد قام على أن الضد من احتيالات النحويين قال (14) : « قال قوم : سوى الشيء ، غيره ، وسواه : هو هو . وقال قوم : بل سوى تكون زيادة احيانا ، كقول ابي النجم : « كالشمس لم تعد سوى ذرورها » يريد لم تعد ذرورها ، أي أن ذرت ، اي طلعت . وانشدنا ابو زيد :

اتانا فلم نعدل سواه بغيره
رسول اتى من عند ذي العرش هاديا

يعني النبي صلى الله عليه وسلم . والمعنى فلم نعدله بغيره . وقال الاخفش : اراد فلم نعدل سواه بغير سواه ، فالهاء ترجع الى سواه . وهذا من احتيال النحويين ، وكلام العرب على غير ذلك».

— * —

كتاب ابن الانباري

وصل الينا ايضا « كتاب الاضداد » لابي بكر محمد بن القاسم الانباري . وقد قدم المؤلف ـ كأبي حاتم ـ بين يدي كتابه مقدمة ، صدرها بالحمد والصلاة ، ثم عرف الاضداد ، وذكر ما دفعه الى التاليف فيها ، وقسم الكلام العربي تمهيدا لوضع الاضداد في موضعها اللائق بها ، وابان نشأتها الاولى في اللغة . ونستبين من الاطلاع عليها أن ابن الانباري ادخل في مقدمته مقدمة قطرب كلها .

وكشف ابن الانباري عن النهج الذي اختطه في كتابه ، فقال (15) : « وقد جمع قوم من اهل اللغة الحروف المتضادة ، وصنفوا في احصائها كتبا . نظرت فيها . فوجدت كل واحد منهم اتى من الحروف

---

(11) 117 .
(12) 115 .
(13) 168 .
(14) 181 .
(15) ص 13 .

بجزء . واسقط منها جزءا ، واكثرهم امسك عن الاعتلال لها . فرايت ان اجمعها فى كتابنا هذا ، على حسب معرفتي ومبلغ علمي ، ليستغني كاتبه والناظر فيه عن الكتب القديمة المؤلفة فى مثل معناه، اذ اشتمل على جميع ما فيها ، ولم يعدم منه زيادة الفوائد ، وحسن البيان ، واستيفاء الاحتجاج ، واستقصاء الشواهد » .

ووفى المؤلف من الخطوة الاولى من نهجه . فقد ذكر جميع ما فى اضداد ابن السكيت وابي حاتم، ما عدا قريبا من 30 اهملها لشكه فيها – وجميع ما فى اضداد قطرب غير 12 ضدا . وكان قطرب قد انفرد بعشرة منها ، واتفق معه ابو حاتم فى الباقيين 77، 164 . وزاد عليها اضدادا اخرى ، فبلغ المجموع 357 . وكانت هذه الزيادة وفاء منه بالخطوة الثانية من منهجه ، الى جانب ما أورده من فوائد فى اثناء الحديث عن الاضداد نفسها .

اما « حسن البيان » فظهر اولا فى الخطة التى رسمها لنفسه ولم يحد عنها تقريبا . واوجزها فى الابتداء بالتنبيه على ان اللفظ من الاضداد ثم تقديم معنييه المتضادين ، ثم اتباعهما بالشواهد ان كان بين يديه شيء منها . وها انذا افتح الكتاب عفوا ، لالتقط الضد الذى يكون فيها . قال (16) : « وتأثم حرف من الاضداد . يقال : قد تأثم الرجل ، اذا أتى ما فيه المأثم ، وتأثم اذا تجنب المأثم ، كما يقال : قد تحوب الرجل اذا تجنب الحوب . ولا يستعمل تحوب فى المعنى الآخر . اخبرنا محمد بن احمد بن النضر قال : حدثنا معاوية بن عمرو قال : حدثنا زائدة ، عن هشام قال : قال الحسن ومحمد : ما علمنا احدا منهم ترك الصلاة على احد من اهل القبلة تأثما من ذلك ، اي تجنبا للمأثم ..» وكان فى بعض الاحيان يجمع بين كلام قطرب والاصمعي فى سياق واحد ، كما فعل غيره ايضا (ربب) .

وظهر « حسن بيانه وكثرة فوائده » فى حشو المواد . فقد عني بابانه اصل الاضداد وما اتصل بها من مشتقات فى احيان كثيرة ، مثل (17) : « وقال الفراء : حسبت اصله من حسبت الشيء اي وقع فى حسابي . ثم كسرت السين منه ، ونقل الى معنى الشك ... وقال الفراء : خلت اصله من الخيال اذا تخيل لك الشيء ، ثم اعمل فى الاسم والخبر ، ونقل الى معنى الظن .. » .

وعنى فى بعض الاضداد بايراد معانيها الاخرى غير المتضادة ، مثل (18) : « الظن يقع على معان اربعة : معنيان متضادان : احدهما الشك . والآخر اليقين الذى لا شك فيه .. والمعنيان اللذان ليسا متضادين : احدهما الكذب ، والآخر التهمة . فاذا كان الظن بمعنى الكذب قلت ظن فلان . أي كذب ، قال الله عز وجل : « ان هم الا يظنون » .

واكثر فى علاجه للمواد من ايراد الاحكام والقواعد اللغوية والنحوية بشكل بارز لم نره عند من قبله . قال فى « توسد (19) » : « وانشد الفراء :

يا رب ساريات ما توسدا
الا ذراع العنس او كف اليدا

اي كان ذراع الناقة بمنزلة الوسادة . وموضع اليد خفض باضافة الكف اليها ، وثبتت الالف فيها . وهي مخفوضة ، لانها شبهت بالرحى والفتى والعصا، وعلى هذا قالت جماعة من العرب : قام اباك ، وجلس اخاك ، فشبهوها بعصاك ورحاك وما لا يتغير من المعتلة . هذا مذهب اصحابنا . وقال غيرهم : موضع اليد نصب بكف ، وكف فعل ماض من قولك : قد كف فلان الاذى عنا » . وقال : « الأون حرف من الاضداد ، يقال : الأون ، للرفق والدعة ، والأون : للتعب والمئونة ... والمئونة اخذت من الأون ، وهو التعب والنصب. والاصل فيه مأونة مفعلة، من الأون، فنقلت ضمة الواو الى الهمزة ، ويجوز ان تكون مفعلة من الأون وهو الرفق والدعة فاذا قالوا هو عظيم المئونة فمعناه : عظيم التسكين والرفق . ويجوز ان تكون المئونة مفعلة من الأين ، والأين التعب. قال الشاعر :

---

(16) 105 .
(17) 4،3 .
(18) 1 .
(19) 115 .